خاتمة

بقلم ديبي پيرل

كل ما قرأتَه، أيها القارئ العزيز، هو خلاصة ما مارسناه في تربية أطفالنا. وهو أيضاً ما رأينا بعض أُسَر الألمان الآمِش يمارسونه. بعض أُسَر الآمِش يعرفون الربّ بطريقة لطيفة، لكن بعضهم ضالّون يحاولون عبثاً كسب رضا الله من خلال أسلوب حياتهم البسيط. لكن كلّهم تقريبا، الضالون منهم والمخلَّصون، استطاعوا تربية أطفال مطيعين ومحترمين ذوي خلق رفيع. كذلك تقدر أنت أن تربِّي أطفالاً مطيعين وسعداء ولطفاء، بل يخافون الله، ومع ذلك يكونون ضالين وهالكين في نظره. إن معرفة الله ليست مجرد أساليب ومبادىء. يجب أن توجد فيهم نسمة الحياة المُحيية، التي لا يهبها إلا الروح القدس.

الأطفال الذين يتربّون في كَنِف والدين نشيطين في معرفة وخدمة المخلِّص المُقام يفطنون إلى هذه الحياة. إذا كانت غايتكم ذواتكم (متضمّناً ذلك كل الأشياء النقية والنافعة)، فنهايتكم ستكون هي نفس نهاية أُسَر الآمِش الضّالة. منذ الدهر وهم يلدون في البيت ويتعلّمون في البيت ويأكلون أطعمة طبيعية مفيدة. ودرجوا منذ أجيال عديدة على حياة بسيطة، يلعب الأب فيها دوراً مركزياً في تربية الطّفل. وهم منذ الدهر يقدّرون صنعة الله في الطّبيعة ويعملون على وقايتها. لكن، هل يعرفون المخلِّص؟ لذلك لا

تنشغلوا بسكب حياتكم في قضية جيدة- حتى وإن كانت تربية أسرة كبيرة. إنما اسكبوا حياتكم في معرفة وخدمة المخلِّص والحرص على أن تُلمَس حياة كل من تحتكّون به فيختبرون الغفران بدم يسوع المسفوك.

نحن مدعوون إلى الجندية في جيش الله الحيّ. أمّا تربية مجنّدين صغار جُدُد، أي أطفالنا فَلَذات أكبادنا، فهي مهمّة ثانوية. الأطفال الذين يشبّون على رؤية الله فاعلاً في الحياة، مخلّصاً النفوس ومغيّراً الحياة، يرون شيئاً حقيقياً، شيئاً سرمدياً. فيكادون لا يدركون أنكم تقومون بتدريسهم في المنزل؛ فهذه مجرد وسيلة أرضية إلى غاية سماوية.

بعد عودة ابنتنا من رحلة تبشيرية في أمريكا الوسطى، سألتُها عن أولاد المبشّرين. ففوجئتُ بإجابتها: «يستحوذ على أولاد المبشّرين رؤيا توصيل رسالة الإنجيل بأنفسهم للقبيلة التالية. يشعرون بالقبيلة الضّالة الهالكة التي لن يذهب إليها أحد ما لم يستجيبوا للنداء. يصرفون شبابهم في الإعداد والتخطيط لتلك القبيلة. ويعرفون ما يريدون أن يصبحوا عندما يكبرون. يريدون أن يكونوا أول من يفك شفرة اللّغة فيخبرون القبيلة بقصّة خلاص الله. يترعرعون على غاية .. غاية تبليغ الرسالة لمن لم يسمعوا من قبل».

لا تعتبر عائلات المبشّرين أسرتهم «الغاية». إنما الأسرة بركة ترافقنا في الطّريق. من ثم لا يكبر الأطفال معتقدين أنهم «الغاية»، بل يعلمون أن غاية حياة المسيحي هو الذهاب إلى العالم أجمع

والكرازة بالإنجيل للخليقة كلها. لقد توقّف العديد من الألمان الآمِش، وكذلك نحن الذين نعيش «على البساطة»، عند قبول البركة دون نقلها. إنها حياة رائعة، لكنها أنانية. الأطفال المنخرطون بنشاط في أسرة تخدم الله يصبحون خداماً لله.

بقلم مايكل پيرل

ما أكثر الآباء الذين ينظرون إليَّ في يأس ويقولون: «قد انتظرت أطول من اللزوم. وهم قد كبروا الآن فلا يمكن تدريبهم». صحيح أنه كلما كبر الطّفل في السنّ صار تشكيله أصعب. لكن لا يستحيل تكييف تصرفات الإنسان عموماً بسبب كبر السن- معسكر التدريب في الجيش أدلَّ دليل على ذلك! لكن لا يمكن تذليل إرادة شخص كبير في السن إلاّ في بيئة محكومة حيث يشعر بتهديد حقيقي للقوة. عندما يكبر الطفل ويبلغ سنّاً يمكنه فيها مغادرة البيت، يفقد التأديب بالقوة تأثيره. وقد لا تستطيع إصلاح كل ما فسد مع ابن الرابعة عشر، لكنك تستطيع تحقيق تحسن كافٍ يدخل في عداد المعجزات. ابن العاشرة لا يزال قابلاً للتشكيل، وكلما بكّرت في البدء، كانت النتائج أفضل. لكن هناك أملاً طالما هم على قيد الحياة.

يجوز أن يقرأ أحد الوالدين هذا الكتاب فيعيد النظر في التدريب والتأديب، بينما يقنع الآخر ببقاء الحال كما هو عليه. أيتها الأم، سوف تربّين فيهم مشاعر سلبية إذا قرّرتِ الكفّ عن

إعطاء الأطفال «فرصاً» (كما ننصح في الكتاب) في حين يستمرّ الزّوج في «لعبة التّهديد». سيكون ذلك تعبيراً عن كبريائك. ومرارتك تجاه زوجك والانقسام الذي يلاحظه الأطفال سيزيد الأمور سوءاً. أمّا كبرياء زوجك فسيجعله أكثر عناداً، خشية أن يكون تابعاً لزوجة نقّادة ومؤلّف مغمور.

أيتها الأم، لا يعوزك إلاّ أن تثيري غيرة زوجك. أولاً، وفي غياب زوجك، التزمي بالمواظبة والشمول حتى تحصلي على طاعة فورية وتامة من أطفالك. وسيدركون أنّه بصرف النظر على إهمال بابا، فماما هي «صاحبة الأمر والنّهي». وعندما ترينه يفشل في الحصول على الطاعة، انتهزي فرصة ملائمة في حضوره، وأصدري أمراً للأطفال بهدوء، فيسرعون بتلبيته. بعد بضعة أيام على هذا المنوال، سيسألكِ: «كيف تفعلين ذلك؛ إنهم لا يطيعونني بتلك الطّريقة؟» ابتسمي بتواضع وقدّمي له العصا أو الخيزرانة وقولي: «اَلْعَصَا وَالتَّوْبِيخُ يُعْطِيَانِ حِكْمَةً» (أمثال ٢٩: ١٥). ثم استديري باحتشام وانصرفي - ولابد أن تأكله الغيرة.

إذا لم تنتقديه، سيريد أن يعرف أكثر عن سرّك. سيسترعي انتباهه التّغيير في موقفك نحو الأطفال (الكفّ عن الغضب والمجادلات وازدياد المحبة). لكن إذا كان كل ما يراه من تغيير هو أنك تقرعين الأطفال بالعصا أكثر من ذي قبل، وأنّ غضبك من نحوه ازداد بنفس القياس، سيظنّ أنّك تمرّين بمرحلة اضطراب عصبي ستأخذ مجراها ولا تلبث أن تزول.

حين أعدتُ قراءة النّص مرة أخرى، ظهر لي أنّي قد أعطيت الكثير من الأوامر السلبية (النواهي)- أي ما لا يجب عمله. إذا كنت أقدِّم إرشادات لتنظيم حديقة أزهار مثلاً، لكنت قدّمت إرشادات إيجابية تماماً، لكن إذا كنت جرّاحاً أقوم بإرشاد طالب جراحي على جراحة القلب، سيكون هناك حتماً الكثير من الأوامر السلبية (النواهي). مثل هذه العملية الخطيرة تتطلّب تشديدات حذرة مصحوبة بالإنذارات الضّرورية. لأن ما يتمّ بنجاح كل يوم قد ينتهي بمأساة إذا أُجرِي بإهمال. تربية الطفل عملية خطيرة. إنك تقتحم نفس إنسان في طور النمو، وهي نفس حيّة ثمينة. فهي ليست عملية تافهة على الإطلاق. إن السّماوات بأكملها تقف في حجرة الانتظار تترقب النّتيجة.

إذا شعرتَ بالإحباط والعجز بعد قراءة هذا الكتاب، فلا تحاول تنفيذ الأساليب المذكورة فيه. هذه الأمور ليست قابلة للتجربة أو التنفيذ شيئاً فشيئاً، إنما تتطلب متابعة تنفيذها بصيرة وثقة. إذا كان هذا كله جديداً عليك، وساورتك بعض الشّكوك، فلن تستطيع إكمال المسيرة واجتياز المحن. عليك بقراءة الكتاب مرة ثانية واللجوء إلى مصادر إضافية للمشورة.

وعلى العكس، إذا أحسست أني عبّرتُ عن أشياء طالما عرفتَها لكنك لم تستطِع الإعراب عنها، وعن مفاهيم راسخة في قلبك، وأنت مقتنع تماماً بصحة ما قلناه، فستحقق نتائج مشرّفة بنعمة الله.

دعوني أختم حديثي بكلمات طفل في عمر الرابعة. كنا نتزاور في حديقة منزلنا مع أسرة بدأت تطبّق هذه الحقائق منذ أسبوع فقط. لما استعدّت الأسرة للرحيل، نادى الأب على كلبهم الجديد. وكان الكلب منفعلاً فداعب الرّجل بعد أن اقترب منه بأن فرّ منه ثانيةً. تعصّب الأب وبدأ ينتقد ذكاء الكلب. فإذا بابنه ذي الأربعة أعوام يقول مدافعاً عن الكلب: «لكن يا بابا أنت لم تدرّبه بعد!»